نـزاع

موضوعه[1] هذا الميراث الثقيل الذى سيتركه صاحب الدولة رئيس الوزراء حين يستقيل فى وقت قريب جدا فيما يقول المكاتب السياسى لصحيفة الديلى تلغراف . ومع أن هذا الميراث ليس غنيا ولا مثريا وليس يسيرا ولا سهلا ولا خفيف الاحتمال ، فإن الازدحام عليه شديد ، والتنازع فيه أشد ، والخصومة فيه عنيفة لا تكاد تهدأ إلا لتثور ، ولا تكاد تستقر إلا لتضطرم من جديد . وهذا النزاع يظهر واضحا جليا فى لندرة حيث تفيد الخصومات فيما يظهر ، وحيث ينفع النضال كلما ضعف الايمان بقوة الشعب ، واشتد الاستهزاء بحق الشعب ، واستيقنت الأحزاب التى تطمع فى الحكم أو تحرص على استبقائه فى أيديها أن الاعتماد على الشعب لا ينفع ولا يفيد ، لأن الشعب لا يملك أو لا ينبغى أن يملك من أمر نفسه شيئا . ومهما تعلن حكومة الانجليز حيادها ، ومهما تلح فى إعلان الحياد ، فإن الذين يكلفون بالحكم أو يحرصون على استبقائه فى أيديهم يعلمون حق العلم أن الحكومة الإنجليزية لا تستطيع أن ترضى أن يقضى فى مصير

---

(١) ١٣ - ٨ - ١٩٣٣

الوزارات المصرية وهى غائبة أو دون أن تستشار ، ودون أن يكون لمشورتها الخطر العظيم والأثر البعيد ، فهم لذلك يهدءون ، وهم لذلك يسكتون فى مصر ويتكلمون فى بلاد الانجليز . وما الذى يدعوهم إلى أن يضطربوا فى القاهرة أو يتعلموا فى مصر ، وقد رأوا أن أهل القاهرة وأهل مصر يحتملون الوزارة القائمة على ضيق شديد بها ، وكره شديد لا حتمالها دون أن يملكوا أن يتخففوا من هذا الحمل الذى لا يطمئنون إليه . أما أهل لندرة وأهل انجلترا فيظهر أن كلمتهم مسموعة وأن لرأيهم فى الشئون المصرية خطرا أشد ، وأثرا أبعد مما لرأى الناس فى هذه البلاد .

والذين يختصمون ويختلفون فيما يظهر فريقان : فريق مؤتلف بالفعل ، وفريق يريد أن يأتلف . فأما الفريق المؤتلف بالفعل فهو هذه الأحزاب أو أشباه الأحزاب التى تتولى الحكم أو تظن أنها تتولاه والتى تعيش فى ظلها وتدور من حولها . وأما الذين يريدون أن يأتلفوا فقوم آخرون ليس من اليسير أن تحددهم تحديدا دقيقا أو تعينهم تعيينا واضحا لا يقبل شكا ولا جدالا ، ولكنهم يريدون ثم يتمنون ما يريدون ثم يحلمون بما أرادوا وتمنوا ، ثم يخيل إليهم أن قد صحت الأحلام وتحققت الآمال فيتهيئون للسعى إلى الدواوين والجلوس على كراسى الوزراء واستقبال المهنئين ثم البدء فى تصريف الأمور والاستمتاع بلذة هذا التصريف

أولئك وهؤلاء يذيعون الأخبار فى لندرة ، ثم ينقلونها إلى القاهرة لتذاع فى مصر ، ثم ينتظرون أثرها فى الناس ، وهم يعيشون على ذلك

منذ ظهرت أعراض الضعف على الوزارة القائمة . ومنذ ألم المرض برئيس الوزراء . وأسهم أولئك وهؤلاء ترتفع حينا ، وتنخفض حينا فى لندرة . فإذا التيمس والديلى تلغرف وغير التيمس والديلى تلغراف ترفع هذه الأسهم مرة حتى تخيل إلى أصحابها أنها رابحة كل الربح ، ثم تخفضها مرة أخرى حتى تروع أصحابها وتكاد تقنعهم بأنها خاسرة كل الخسران . والظريف الطريف أن أسهم أولئك وهؤلاء على ما يختلف عليها من أعراض الربح والخسران ، ومن مظاهر الارتفاع والانخفاض ، خاسرة فى القاهرة وفى مصر ، لا يكاد يهتم بارتفاعها وانخفاضها إلا هذا الفريق الضئيل الذى وقف حياته على أن يدور حول الوزراء والمستوزرين .

أما الشعب فثابت فى موقفه ، مصرّ على حقه ، مطمئن إليه ، ساع إلى آماله ، ملح فى السعى إليها ، صابر على محنته ، ملح فى الصبر عليها ، ساخرمن أولئك وهؤلاء الذين يختصمون ويسرفون فى الخصومة عند الانجليز ، والذين يُضحكون من أنفسهم هؤلاء الانجليز

كانت الصحف الانجليزية ترى أن العدول عن الأحزاب المؤتلفة الحاكمة إلى لون آخر من الائتلاف أمر هو الخير ، كل الخير ، وهو النفع ، كل النفع ، وهو الضرورة التى لا منصرف عنها ولا مفر منها . وكانت تلمح لصدق باشا حينا وتصرح له حينا آخر ، وتلين مرة وتشتد مرة أخرى ، وتدعوه على كل حال إلى أن يستقيل ثم تعدل عن هذا الموقف إلى موقف آخر فتؤيد رئيس الوزراء تصريحا أو تلميحا وتهاجم خصومه تصريحا أو تلميحا ، وتنهاه مرة فى قوة ،

ومرة فى ضعف عن أن يستقيل . وكلما اتخذت هذه الصحف الانجليزية كلها أو بعضها ، كبارها أو صغارها موقفا من هذه المواقف ارتفعت أسهم أولئك وانخفضت أسهم هؤلاء وابتسمت ثغور أولئك وعبست وجوه هؤلاء . وليس من شك فى أن الفصل الذى نشرته الديلى تلغراف ونقل إلى مصر أمس واليوم قد رفع أسهما وخفض أسهما . وقد رسم الابتسام على وجوه قوم ، وغشى بالعبوس وجوه آخرين . فقد يظهر أن الديلى تلغراف أو أن مكاتبها السياسى يرى منذ أمس أن هذه الأحزاب المؤتلفة الحاكمة أو التى يخيل إليها أنها حاكمة يجب أن تظل محتفظة بالحكم أو بما يخيل إليها أنه الحكم . وأن الذين يفكرون فى أن يخلفوها على الحكم أو على خيال الحكم ينبغى لهم أن يعرضوا عن ذلك ويريحوا أنفسهم من التفكير فيه . وكانت الديلى تلغراف ترى غير هذا الرأى حتى اضطر رئيس الوزراء إلى أن يخرج عن راحته وصمته ويبرق إليها عاتبا مستعطفا ، مطالبا بالإنصاف .

وليس لهذا الموقف الجديد بعد ذلك الموقف القديم معنى إلا أن الذين يختصمون حول رضا الديلى تلغراف وأشباهها من الصحف الانجليزية قد ألحوا فى الخصومة ، وغالوا فى التنافس أيهم يظفر بهذا الرضا فنجح المنتظرون منذ أسبوعين ، ثم نجح الحاكمون منذ أمس . ولابد أن كانت عند المنتظرين بقية من قوة وفضل من قدرة على الإلحاح فى الخصومة والمضى فى الجهاد من أن تقرأ غدا أو بعد غد ، أو فى الأسبوع المقبل أو الذى يليه فى الديلى تلغراف أو فى غير الديلى

تلغراف تأييدا للمنتظرين وهجوما على القائمين بالحكم . وسيظل هذا النزاع قائما شديدا عنيفا حتى يقضى الله قضاءه بين هؤلاء المختلفين . ولكن أمرين اثنين خليقان بالتفكير والاعتبار ، أحدهما يثير الحزن ويبعث الأسى ، والآخر يحيى الأمل ويقوى الرجاء .

فأما الأول فهو موقف رئيس الوزارة بعد أن طال عليه المرض واستيقن أصدقاؤه وخصومه أن العناية بصحته أنفع وأجدى عليه من الاحتفاظ بمنصبه . فقد أصبح بقاؤه فى الحكم أمرا مفروغا منه فيما يظهر ، يؤكد أصدقاؤه فى مصر أنه مستقيل . ويؤكد أصدقاؤه فى انجلترا أنه مستقيل ، ويتعزى أولئك وهؤلاء فى سهولة مؤلمة ويسر محزن عن اضطرار صديقهم إلى الاستقالة حتى صحيفة رئيس الوزراء فى مصر تردد صباح اليوم إمكان هذه الاستقالة وسرورها بما تقوله الديلى تلغراف من أن الحكم أو خيال الحكم سيبقى فى أصدقاء الرئيس أشد وأظهر ، لا نقول من حزنها ، بل نقول من أسفها لأن الرئيس سيستقيل . وأكبر الظن أن سرورها ــ إن تحققت نبوءة الديلى تلغراف ، وبقى الحكم فى أصحابها ــ سيكون أظهر وأنصع من حزنها لاضطرار رئيس الوزراء إلى أن يستقيل . ومعنى ذلك أن إخلاص الناس للناس محدود ، وأن وفاء الناس للناس قصير المدى ، وأن إيثار الناس لأنفسهم حتى على الذين يخلفونهم ويحسنون إليهم أمر شائع مألوف إذا قامت صلات الناس على المنافع العاجلة ، لا على المبادىء الخالدة . وكذلك جدّ رئيس الوزراء وأجهد نفسه ولقى من الجد والجهد ما دفعه إلى المرض وما سيضطره إلى الاستقاله ، ثم يتخلى

أصدقاؤه عنه هادئين ما دام الحكم يمكن أن يبقى فيهم . وأما الثانى فهو أن الذين يدورون حول الحكم فى مصر وفى انجلترا يبذلون ما يستطيعون ومالا يستطيعون من القوة والجهد دون أن يجدوا مخرجا من هذا المأزق الذى تورطوا فيه حين خيلوا إلى أنفسهم أنهم يستطيعون أن يقضوا فى أمر مصر على غير رضى من مصر ، فقد ظهر الف دليل ودليل على أن رئيس الوزراء لابد له من أن يستقيل ولكن ظهرت ألف صعوبة وصعوبة فى سبيل من يخلف رئيس الوزراء ، لأن الذين يدورون حول الحكم الآن لا يريدون أن يرجعوا فيه إلى مصر . وما دام الأمر كذلك فهم مضطربون وسيظلون مضطربين بين المؤتلفين الآن على الحكم أو خياله ، والذين يريدون أن يأتلفوا على الحكم أو خياله .

وقد يبقى هؤلاء المؤتلفون حيث هم ، وقد يقوم مقامهم قوم آخرون لكن أمور مصر ستظل مضطربة مختلطة ، وستمعن فى الاضطراب والاختلاط حتى يضطر الذين يصبون إلى الحكم إلى أن يلائموا بين مواقفهم وبين طبيعة الأشياء ، وإلى أن يعترفوا بأن قد مضى الزمن الذى تحكم فيه الشعوب على غير ما تريد .